الثورة الاثنين 16 ذو الحجة 1431هـ الموافق 22 نوفمبر 2010م العدد (16812)

طقوس تجسد مشاعر الشوق وتجدد فرحة العيد

انتظار الحجاج.. عادات لاتخلو من الإثارة !!

- مجابرة - وإنشاد ديني في جلسات الاحتفاء بعودة الحجاج
- المدرهة - طقس معتاد تردد خلاله زوامل وأشعار الشوق

تحقيق/
نجلاء الشعوبي

.. الحجيج ومراحل انتظارهم شعور جميل من الشوق واللهفة لمن ذهب للأراضي المقدسة لأداء فرضه وإكمال ركن من أركان إسلامه وعودته سالماً غانماً، حيث يذهب الحاج لتلك البقعة من العالم وقد تجرد من كل ملذات الحياة ومسؤوليات الدنيا وانشغالها وترك وراءه أسرته وأحبته الذين يتلوعون شوقاً ومحبة له سواء كان أما أو أباً ويدعون لهم بالسلامة والحفظ، ويستقبلون العيد وعيونهم هناك على الحرم لترقب الأهل والأقارب وتكون قلوبهم مع الأحبة الذين استضافهم الرحمان برحمانية تلك الشعائر العظيمة وفي هذا الشأن نحاول أن نقترب من الناس الذين لديهم حاج من أسرهم ونعرف كيف يقضون العيد؟ وكيف يكون الانتظار وكيف يتم الاعداد لاستقبال حجيجهم؟

– محمد الناظري يُعتبر الأبن الأكبر بين إخوته، و هــذا العيد يتولى زمــام الأمور في العائلة بعد ذهــاب والده للحج هذا العــام، فهو يعتبر الابن الأكبر الذي يتحمل جزءاً كبيراً من المسؤولية من حيث توفير احتياجات العيد الأساسية والأشراف على بقية أفراد الأسرة ومنها زيارات صلة الرحم في يوم العيد بــدلاً عن والده كي لا تتغير العادة التي اعتاد عليها الأب كل عيد من زيارات الأقارب والأرحــام، ويعتبر غياب والده بأنه شــكل فراغاً كبيراً حيث أن الجميع ينتظره بكل شوق ولهفة.

– نجود السرحي من جهتها تعتبر غياب الكبار في المنزل وذهابهم إلى الحج وخاصة إذا كانت الأم والأب مشكلة تعكر صفو العيد وتعتبر فرحة ناقصة وليــس لها أي معنــى بدونهم حتى وإن حــاول الإخوة الكبار يغطــوا الغياب إلا أن الأب والأم ليس لهما بديل فيكون العيد ناقصاً.

طعم العيد

– أما ســحر ربة بيت تقــول: العيد ليس كما هــو كل عام لأن زوجها ذهــب للحج ضمن بعثة الأوقــاف ، إلا أن تواصله شــبه يومي بالهاتف وبالــذات يوم العيد مع أطفالــه لكي لا يفتقدونه، وأطفاله يعدون الأيام لعودته ليبدأ عيدهم .

– يحيى الرونــي، يضيف من جانبه: العيد لا يزيــد رونقاً وســعادة إلا إذا أحتوى البيت على حاج من الأســرة وخاصة إذا كان أحد الوالدين ، فالجميع ينتظرونهم بلهفة وشوق ولا يعتبر عيداً إلا عند عودتهم بحيث يجتمــع كل أفراد العائلة مع الحاج فرحاً بعودته وبالعيد نفســه الذي يبدأ عند عودته.

الحجة آمنة تحرص على أن تؤجل مظاهر العيد منتظرة لزوجها الذي ذهب للحج برفقة ابنه الأكبر فهــي لا تحتفل بالعيد لأنه ليس له أي طعم بدون وجود زوجها حسب قولها لذلك فكل مظاهر العيد تؤجل حتى عودته ولايبدأ العيد حتى الذباحة إلا مع عودته.

والكثير من الأســر تنتظر حجيجها ويؤجلون العديــد من المظاهــر العيديــة مــن الزيارات والمعايــدات حتــى من ذباحــة الأضاحي حتى عودتهم باعتبار ذلك من مظاهر الاســتقبال التي تعــد لها الأســر وتختلف من منطقــة إلى خرى بحيث تكون حفاوة الاستقبال هي نفسها سعادة العيد وشوق لقاء الأحبة بعد العودة من الحج.

وفي صنعاء طقوس معينة حيث تنصب الأسر التي لديها حجاج ما يسمى بالمدرهة في فناء الدار وتأتي النساء والشباب والأطفال إلى تلك المدرهة وقد وضعوا عليها من ثياب الحاج والأجراس أي النواقيس والقماش المذهب واللحف المنقوشــة المختلفة والســلوس الطويلــة ويصعدون عليها الواحد تلو الآخر ينشــدون ويزملون بالأشعار حتى يعود الحاج من مكة المكرمة .

احتفالات

وتســتمر احتفــالات المدرهة إلــى أن يعود الحاج إلى بيته، يشــترك فيها الرجال والنســاء وتكون في شكل ورديات أو تناوب وهي من أجمل مظاهر انتظار الحجيج بحيث يتوزع الشوق على أفــراد الحي والأهل والأصدقاء وليس على أهل البيت فقــط، ،ومن العادات انــه عندما يخبرهم الحاج بوصوله حتى يستعدو لشراء خروف وهو على الأغلب خروف العيد وإحضار الجزار حتى إذا مــا وصل الحاج يذبح الخروف حال وصوله ولا يدخــل من باب البيت إلا بعد ذباحة الخروف تعبيراً عن شــدة فرحهم بوصولــه وهذه تزداد في المناطق الريفية الذين يعيشــون في المدينة ويتم إطلاق العيــارات النارية والطماش إعلانا بوصوله فترتفع زغاريد النســاء عند اســتقباله ووصوله إلى البيت وتبدأ الزفة بالارتفاع وســط الأهــل والأصحاب والأبنــاء وكأن الحاج عريس يومــه، ويدعون الأقــارب والأرحــام والأصدقاء لتنــاول طعام الغداء والمجالس وقد اســتعدوا لشــراء القات وإحضار المنشدين وهكذا لأكثر من ثلاثة أيام.

أما النســاء فيأتين لمجابرة أهل الحاج لأيام عديــدة، ومن هدايا الحجاج المســبحة والكحل كهدية رمزية، فمــن وصل لزيارته ومجابرته بعد وصوله يهدي له مســبحه وشيئاً من الكحل وهي إلــى وقتنا هذا، أما معظم العادات المذكورة آنفاً فــي الوقت الحاضر فقد تلاشــت نتيجة للأزمة المعيشية والغلاء الذي لا يطاق وقلّ عدد الحجاج اليمنيين بنسبة٥٠ ٪ تقريباً بسبب ارتفاع تكاليف الحــج، إلا أن مظاهر الاســتقبال لا تذهب بعيداً عن مفهوم الانتظار للحج وفرحة اللقاء التي تظهر في حفاوة الاستقبال التي تبقى ذكرى في مخيلة الحاج وأهله.